المنار

١٣١٥

نشر مبادئ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى ورد منارا ﴿ كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر صفر سنة ١٣٢٥ — آخره السبت ١٣ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٧ ﴾

باب المقالات

الهوى والهدى او اللذة والمنفعة (*)

يولد الحيوان ذا وجدانين متضادين — وجدان اللذة بما يلائمه ووجدان الألم بما لا يلائمه ، واحساس الطبيعة الحيوانية بالحاجة الى الغذاء يسمى شهوة وهو يطلبه قبل وجوده ويلتذ به بعد ان يصيبه . فالشهوة هي الشعور الاول للحيوان واللذة هي الشعور الثاني والمطلب الاول . لا فصل في هذا بين الحيوان الاعجم والناطق . على ان الانسان لا يولد ناطقاً بل يولد أشد عجمة وأضعف شعوراً من سائر الحيوانات

يتعلم وليد الانسان النطق بعد ولادته باشهر فيعبر عن شعوره وادراكه ويفهم من غيره بعض ما يعبر به عما في نفسه ثم يتولد فيه الميل الى البحث ومعرفة المجهولات

(*) كتبنا هذه المقالة وما بعدها « فجريدة » ونشرت فيها

ثم الفكر فيما تدركه مشاعره والتذكر والتخيل والقياس والاستنتاج وهي اللذة المعنوية تسوقه اليها شهوة عقلية ينفرد بالترقي فيها دون الحيوان الاعجم وبذلك يميز بين النافع والضار ويحكم بوجوب طلب الاول وان كان مؤلماً كالدواء ، واتقاء الثاني وان كان مشتهى ومستلذا كالخمر والحشيش ، وكالاسراف في اللذات النافعة . كما يميز بين الحق والباطل في الاعتقاد ويرجح الحق على الباطل

يرتقي الانسان في التمييز بين النافع والضار والحق والباطل بالتدريج وربما بلغ أشده واستوى وهو يرى بعض النافع ضارا وبعض الباطل حقاً ولا يحيط أحد من الناس خبرا بالمنافع والحقائق ولو اشخصه فما قولكم دام فضلكم في الباحث عن المنافع والمضار لامة عظيمة أو دولة كبيرة

ترتقي معرفة الناس بالمنافع والمضار بارتقاء التربية الصالحة والتعليم النافع وانك لتجد اكثر المرتقين في تربيتهم وتعليمهم يؤثرون اللذة على المنفعة في كثير من شؤونهم وأحوالهم فما بالكم بمن دونهم في ارتقائهم

إيثار اللذة على المنفعة والباطل على الحق هو اتباع الهوى وعكسه هو اتباع الهدى ولو كان كل لذيذ ضارا أو كل نافع مؤلماً لهلك الناس باستحباب الهوى على الهدى ولكن أكثر اللذائذ نافعة وأكثر المؤلمات ضارة والحق والخير محببان الى النفوس البشرية طبعاً وانما يكرههما الجاهل بهما أو من تربى على ضدهما حتى ملك الباطل أو الشر وجده انه ، واستحوذ على نفسه استحواذاً . فليس في فطرة الانسان غريزة تصده عن الكمال في اتباع الهدى باختيار الحق على الباطل . وترجيح النافع على الضار ، فتبارك الفاطر الحكيم .

يحب المطفل اللعب وهو نافع له وقد يؤثره في سن التمييز على التعليم فيظن الجاهل ان هذا إيثار للذة على المنفعة لفساد في الفطرة وما هو بفساد في الفطرة وانما هو مظهر الحكمة فيها

لا ينفر الولد من التعلم الا اذا كان فيه ارغام للفطرة بتكليفه فهم ما هو غير مستعد لفهمه وذلك ضارٌّ به . أو بمنعه من اللعب النافع له ، أو بمعاملته بالشدة المانعة له عن كماله ، وهذا التحكم في عقله ونفسه كالتحكم في جسمه بسومه حمل الاثقال ،

ومصارعة الرجال ، وأكثر الناس يعرفون درجات قوى الاجسام ، دون درجات قوى النفوس والاحلام ،

جرب بعض الناس طريقة الحكمة في التعليم والتربية وهي الطريقة التي لا تخرج الناشيء عن طوره فتجعل الدارج يافعاً أو الطفل كهلا — الطريقة التي لا تحمل الطبيعة مالا تحمل ، فجذبوا الناشئين بسلاسل اللذة التي عرفوها الى جنة المنفعة التي جهلوها ، فانجذبوا طائعين مسرورين

هكذا يمكن للمربي الحكيم ان يجمع بين الهوى والهدى ولولا هذا الامكان لما قال النبي عليه الصلاة والسلام « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ولكن المربي الجاهل يعد الناشيء في الهوى ويغذيه باللذة ويصور له الالم أو الحرمان في المنفعة حتى يكون من الخاسرين

سنة الله في الأمم تشبه سنته في الافراد فللأمة طفولة وتمييز وشباب واستواء . وهي تؤثر قبل بلوغها سن الكمال الاجتماعي اللذة على الفائدة ، وتستحب السعي على الهدى للجهل بوجوه المصالح العامة ، وما يرفع الاقوام وما يضعها ، وحينئذ تكون أحوج الى المربي الحكيم من الطفل اليتيم

ما ارتقاء الامة الا كثرة الحكماء والفضلاء فيها ومهما كثر هؤلاء فلا يكونون في سواد الامة الا عدداً قليلا فأكثر افراد الأمم الراقية الآن يؤثرون اللذة ويسعون لها سعياً في عامة أحوالهم . ألم يأتك نبأ خسارة من طبع كتب الفيلسوف هربرت سبنسر في علم الاجتماع وفلسفة التربية والتعليم وهي انفع ما كتب حكماء الغرب في أرقى امه ؟ قارن بين هذا وبين الربح العظيم الذي يناله من يطبعون القصص الغرامية وغير الغرامية تعلم ان الدهماء من كل امة يتبعون مواقع اللذة وينفرون من النافع اذا لم يكن مستلذاً ولكن الامة المرتقية لا يروج عندها الضار بها وان كان لذيذاً

تربية الامم وارشادها أشرف الاعمال وأفضلها وأشقها وأعسرها ويحتاج من العلم والحكمة والاخلاص والنزاهة مالا يحوز غيره فان فتنة الهوى فيه لا يقاس بها فتنة حتى ان الملك العاطل من حلية هذه الصفات يتبع هواه في سياسة رعيته ، حتى يردي بشعبه ورعيته ، ولو كان خسارة في ذلك موازياً لخسار الامة في مجموعها

آية من يتبع الهدى في ارشاد الامة أن لا يتبع فيه هواها ولا يتحرى ما يرضيها، وان كان يريدها، وان يكون كالطبيب يجرعها المر يليقها الضرر، اذا تعذر أن تجذب بالذات الى المنافع، كما يجذب الدارج واليافع،

لا يؤمن الفرد من اتباع الهوى في سياسة الامة وارشادها عن علم أو جهل لذلك جاء الوحي بوجوب جعل أمر المسلمين شورى بينهم وبذلك ارتقت الامم العزيزة. وينبغي لمرشديها ان يسلكوا سبيل الشورى كما كيفها، فلا يستبد أحد الافراد، برأيه في الارشاد، لهذا نرجو من هذه (المجريدة) من تحرير الفوائد، فوق ما نرجو من غيرها من الجرائد، والسلام على من اتبع الهدى، ورجح العقل على الهوى،

سنن الاجتماع

﴿ في الحاكمين والمحكومين لهم وجزائهم ﴾

طبيعة الاجتماع تقتضي بوجود المتكلم، ما اقتضت بوجود النزاع والخصام، فاذا لم يتغلب على الناس من يحكم فيهم كما يشاء اختاروا هم لانفسهم من يحكم بينهم كما يشاؤن، لأن ما اقتضت به سنن الوجود واقع ماله من دافع

الحكم حاجة من حاجات الناس يقوم به بعضهم بالنيابة عن الباقين فهو كسائر الحاجات من العلوم والمهن والحرف كالزراعة والصناعة والتجارة التي يقوم بكل فرع من فروعها من يكفي المجتمع همها كما يقوم هو بسائر حاجاتهم ويكفيهم ما أهمهم. فالما كون كغيرهم من العاملين كل صنف يقدم مجموع الاصناف التي يعبر عنها بالشعب أو الامة من حيث يخدمونه «وكل ميسر لما خلق له» ومسير الى حيث يسوقه استعداده، فمن سابق ومتخلف، ومن محسن ومسيء «ولكل جزاء» والجزاء اما مال يكفي أو يغني، وأما مال وجاه يعلي

جزاء الاعمال التي تطلبها طبيعة الاجتماع طبيعي مثلها ولولا ذلك لما اندفع كل فريق الى العمل الذي يزين له استعداده جزاءه والفضلة به فمن يطلب من